التدخل فيها (!) وللحق، أن أعدى أعداء السادات، وأكثرهم نقدا لسياسته الداخلية والدولية، لم يتوقعوا أن يجرؤ الرجل على ارتكاب خطيئة من هذا النوع، وعلى هذا النحو، من تحدي الجميع واللامبالاة بأحد.

ولذلك انتاب الذهول معظم دول العرب وحكامهم، بسبب هذه الردة، ومنهم مع ذلك، ورغم ذلك، من بقي ينتظر عودة السادات الى حظيرة التضامن، ولو في أبسط مستوياته. بل هنالك من ينتظر، حتى اليوم، غير مدرك لخطورة ما قد تم تحقيقه حتى الآن، وما أفرزته تلك المبادرة من أبعاد جديدة، لا يمكن القفز عنها أو تجاوزها، بالسهولة التي يتصورونها.

وإذا ما قارنا موقف السادات من استراتيجية الخرطوم، وهي الاستراتيجية التي أفرزتها هزيمة حزيران، نستطيع أن ندرك مدى الانجراف الذي انجرف فيه السادات، وفي أعقاب حرب أكتوبر وعبور القناة وتحطيم خط بارليف. فوحدة الصف العربي، التي أكد عليها الملوك والرؤساء، لم يبق منها أثر؛ والانفراد حل محل العمل الجماعي؛ وآثار العدوان لم يُزل منها سوى انسحاب جزئي من سيناء، مقابل الاعتراف والصلح والتفاوض مع اسرائيل، وعلى حساب ما تبقى من فلسطين في القدس والضفة والقطاع؛ وبدلا من السرعة في تصفية القواعد الأجنبية، كما ورد في قمة الخرطوم، استدعى السادات الولايات المتحدة لتقيم قواعدها في موانىء مصر ومطاراتها، وشجعها على تدعيم قواعدها في الصومال وعمان وغيرهما.

انها ردة على مستوى ١٨٠ درجة.

فماذا كان الرد العربي على هذه الردة؟ أي ما هي «استراتيجية ما بعد ارتداد السادات واخراج مصر من دائرة الصراع العربي – الصهيوني، وتحويلها الى أحد مراكز الثقل للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط»؟

* * *

إن قمة الردود العربية الرسمية على «مبادرة السادات» تجسدت في قرارات قمة بغداد، فهي وحدها التي صدرت في اطار العمل السياسي الموحد، وبحضور كل الدول العربية، رغم تفاوت التمثيل في ذلك المؤتمر. ولقد تم ذلك بين ٢ و٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨، ووسط أجواء ملغومة ومبهمة ومائعة. ولو لم يسبق ذلك المؤتمر، تلك المبادرة السورية – العراقية لتعليق ما بين القطرين، من خلافات، واصدار ميثاق العمل القومي، لتغلبت، وبما، روح التردد على روح الاقدام.

ومع ذلك، فان ما صدر عن قمة بغداد، وباعتراف الدولة المضيفة، لم يكن يمثل إلا الحد الأدنى من الموقف القومي المطلوب. فماذا قررت قمة بغداد، رداً على ردة السادات، التي ضربت استراتيجية العرب التقليدية في الصميم؟

لقد خص المؤتمر العمل الفلسطيني بتأكيدات لدعمه، وفي مقدمتها تأكيد اعتبار منظمة التحرير ممثلة شرعية وحيدة لشعب فلسطين. ثم أكد المؤتمر، عدم جواز انفراد